نماذج من اهتمامات المؤلفين العرب * بالمقدمة الخلدونية

الاستاذ محمد المنوني

يذكر كثيراً ــ أن الاهتمام بالمقدمة الخلدونية في البلاد العربية لم يبدأ إلا من أواخر القرن التاسع عشر .

وهدف هذا البحث إبراز جملة من المؤلفين العرب قبل الفترة المشار لها ، وجميعهم عرفوا المقدمة ، وتأثروا بطائفة من أفكارها ، وبينهم من ناقش بعض مسائلها ، حيث تشهد بهذا وذاك مؤلفات مدونة بالعربية ، بدأت في الظهور بعد ابن خلدون بزمن يسير ، ثم تتابع تأليفها ــ عبر الفترات التالية ــ حتى بداية القرن التاسع عشر .

يضاف لهؤلاء واقع توالي انتساخ المقدمة بالمشرق والمغرب ، انطلاقا من عصر المؤلف فما بعده ، ومن الواضح أن كثرة المنتسخات تعبّر عن وفرة القراء .

وثالثا : ظاهرة محافظة زمرة من أعلام العرب على سند رواية « العبر » وضمنه المقدمة : شيخا عن شيخ حتى تلميذ المؤلف ، حتى ابن خلدون نفسه .

---

* كتب هذا البحث برسم ندوة ابن خلدون ، التي نظمتها كلية الآداب المغربية بالرباط من ١٤ الى ١٧ فبراير ١٩٧٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فهذه الظواهر ــ مجتمعة ومتفرقة ــ تدل على اهتمام عربي بالمقدمة ، تسلسلت ملامحه عبر الأجيال التالية .

* * *

وإلى هنا تتبين من هذا العرض أن البحث الذي نقدمه يتدرج في ثلاث نقط :

ــ مؤلفون ــ لكتب بالعربية ــ تأثروا بالمقدمة .

ــ وفرة مخطوطات المقدمة المكتوبة عبر العصور .

ــ الحفاظ على سند روايتها الى مؤلفها .

* * *

وبالنسبة الى النقطة الأولى : نشير ــ في البداية ــ الى أن اتصال المعنيين بالامر بآراء ابن خلدون جاء من ثلاث جهات :

من محاوراته لبعض معاصريه .

ومن منهجيته الفلسفية في دروسه .

وثالثا ــ وهو الكثير ــ عن طريق المقدمة .

ويمكن أن يصنف في القسم الأول صديق لابن خلدون اشتهر بابن السكاك ويلقب بأبي يحيى ، وسيرد اسمه كاملا من بعد ، غير أنه يشار ــ هنا ــ الى أنه لم يرد بترجمته ولا بترجمة ابن خلدون ، أن هذا الأخير كان أستاذاً لصديقه المغربي ، مما يرجح أن تأثره بالأفكار الخلدونية ــ وهو ماسنتبينه وشيكاً ــ بدأ عن طريق المذاكرة والمحاورة ، قبل أن يأتي من جهة المقدمة .

وفي هذا الاتجاه نشير الى قصة طريفة تشف عما كان من الاتصال بين ابن خلدون وابن السكاك ، الى حد أن يسمرا ــ معاً ــ في بيت صديق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثالث من أعلام المغرب الأوسط ، فقد بات الاثنان في ضيافة محمد بن أحمد ابن علي الشريف التلمساني ، وفي الليلة ذاتها ازداد عند المضيف مولود ، فرغب كل من الضيفين أن يكون الوليد يحمل اسمه ، فسماه والده بعبد الرحمن على خاطر ابن خلدون ، وكنّاه بأبي يحيى مراعاة لعاطفة ابن السكاك[١] ، واستفاد « البحث » من هذه القصة مقدار الاتصال الذي كان بين الاثنين ، حتى أفضى الى تأثر أحدهما بالآخر .

* * *

ومن رفيق ابن خلدون ننتقل الى الآخذين عنه ، فمن القاهرة : تلميذه الذي تفانى في الإشادة بتفكير أستاذه : ابن المقريزي : أحمد بن علي بن عبد القادر المحيوي ، المتوفى عام ٨٤٥/١٤٤١[٢] .

ثم ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي بن محمد الكناني ، المتوفى عام ٨٥٢/١٤٤٩[٣] ، وإليه يرجع السند المشرقي للمقدمة والتاريخ .

ومن تونس : البسيلي : أحمد بن محمد بن أحمد ، المتوفى عام ٨٣٠/١٤٢٧[٤] .

ومن تلمسان : ابن مرزوق الحفيد : محمد بن أحمد بن محمد العجيسي ، المتوفى عام ٨٤٢/١٤٣٨[٥] ، وإليه ينتهي السند المغربي للمقدمة والتاريخ .

---

(١) « نيل الابتهاج » المنشور بهامش الديباج ، مطبعة المعاهد بمصر ، ص : ١٧٠ و ٢٨٤ ، مع « البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان »، المطبعة الثعالبية بالجزائر . ص : ١٢٧ ، عند ترجمة أبي يحيى عبد الرحمن : الوليد المنوه به ، ولوالده ترجمة موسعة في نيل الابتهاج ص : ٢٥٥ ـ ٢٦٤ .

(٢) ترجمته ومصادرها في معجم المؤلفين ٢/١١ـ١٢ .

(٣) ترجمته ومصادرها في « معجم المؤلفين » ٢/٢٠ـ٢٢ .

(٤) ترجمته في « نيل الابتهاج » ، ص : ٧٧ ـ ٧٨ ، وتاريخ وفاته من « كشف الظنون » .

(٥) ترجمته ومصادرها عند الزركلي في « الآعلام » ٦/٢٢٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن غرناطة : المجاري : محمد بن محمد بن علي ، المتوفى عام ٨٦٣/١٤٥٨[٦] .

وقد أجازه ابن خلدون بتاريخه[٧] وضمنه مقدمته ، وهو أجاز ـ بالاجازة العامة ـ لمحمد بن محمد بن محمد الأنصاري السرقسطي ثم الغرناطي[٨] ، وهذا أحد شيوخ محمد بن الأزرق[٩] الغرناطي مؤلف «بدائع السلك في طبائع الملك» .

على أن السفير الدائم بين ابن خلدون وقرائه هو المقدمة نفسها،وفي هذا الصدد نعرض تنويهين اثنين ، صدر أحدهما من المشرق على لسان ابن المقريزي : « مقدمته لم يعمل مثلها ، وإنه لعزيز أن ينال مجتهد منالها ، إذ هي زبدة المعارف والعلوم ، ونتيجة العقول السليمة والفهوم ، توقف على كنه الأشياء ، وتعرف حقيقة الحوادث والأنباء ، وتعبر عن حال الوجود، وتنبىء عن أصل كل موجود[١٠] ... » .

أما التنويه الثاني فجاء من الغرب الاسلامي على لسان مختصر الإحاطة لابن الخطيب : أبي جعفر أحمد البقني الغرناطي من أهل المائة الهجرية التاسعة ، وهو يقول عن تاريخ ابن خلدون والقصد الى المقدمة : « اخترع فيه مذهبا عجيبا،وطريقا مبتدعا،من الحديث على العلوم ، وتنقيح

---

(٦) له ترجمة عند الوادي آشي : أحمد بن علي البلوي في « ثبته » المخطوط بالاسكوريال رقم : ١٧٢٥ : لوحة ١١ـ١٢ ، وأكثرها مقتبس من فهرس المجاري آتي الذكر وشيكا .

(٧) فهرس المجاري عند ترجمة ابن خلدون ، حيث يعرف منه مخطوطان : بالخزانة الملكية رقم : ٢/١٥٧٨ ، مع نسخة أخرى بدار الكتب الوطنية بتونس .

(٨) «ثبت» الوادي آشي عند لوحة ١٠ .

(٩) نيل الابتهاج ، ص : ٣١٤ .

(١٠) « الضوء اللامع » ٤/١٤٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

النهوم ، وما يعرض في الانسان من الأغراض الذاتية والخيالات والحلوم[١١] » .

ويمتد الإكبار للمقدمة الى عصر المؤرخ المصري : عبد الرحمن بن الحسن الجبرتي القاهري ، المتوفى عام ١٢٣٧/١٨٢٢[١٢] ، وهو يقول عنها في مدخل « عجائب الآثار » : « من اطلع عليها رأى بحراً متلاطما بالعلوم، مشحونا بنفائس جواهر المنطوق والمفهوم[١٣] » .

* * *

والآن بعد هذا المدخل نعرض نماذج من المؤلفين الذين تأثروا بأفكار المقدمة أو اقتبسوا منها ، وعددهم ١١ اسماً :

١ ــ أبو يحيى ابن السكاك : محمد بن أبي غالب بن أحمد المكناسي التبيل ، ثم العياضي ، الفاسي الدار ، المتوفى عام ٨١٨/١٤١٥ــ١٤١٦[١٤] ، وظهر تأثره بالفلسفة الخلدونية في ثلاثة من مؤلفاته :

الأول : كتاب « نصح ملوك الاسلام » المنشور بالمطبعة الحجرية الفاسية ، وهو ينثر به هذه الفقرة :

« ... غير أن العقلاء وأهل التجربة الصحيحة والفراسة الصادقة ، قالوا : إن الدول اذا تهمست بالطرف والذخائر ، وقصرت همسها على الحلي والحلل ، وثياب الديباج المذهبة ، وستور الحرير والفرش الهائلة ، والمباني المشيدة : دل ذلك على تحلل تركيبها ، واضمحلال ضخامتها ، وفناء رونقها وحسنها ، ونقصان كمالها ، وآل أمرها للدثور والدمار » .

---

(١١) « نيل الابتهاج » ص : ١٦٩ .

(١٢) ترجمته عند الزركلي في « الأعلام » ٤/٧٥ .

(١٣) « عجائب الآثار » الطبعة المصرية الاولى ١/٦ .

(١٤) ترجمته في « سلوة الأنفاس » ط.ف ٢/١٤٤ــ١٤٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهنا يعقب المؤلف بالوجه الثاني لعرضه قائلا : « وإذا صحب دولة الاقتصاد في الانفاق ، والتقلل من المؤن ، والعدل في الرعية ، واختيار الجند وانتقائهم ، والاستغناء فيهم بقليل نفاع ، عن كثير عظيم المؤونة ، قليل المنفعة ، ورأس الأمر حسن العقد مع الله تعالى ، وصفاء السريرة ، وخلوص النية والقصد ، ومراعاة وجه الكريم في إحياء سنن حبيبه ، وإماتة البدع ـ كان لها من الظهور والشماخة وبعد الصيت ما لا يفي بوصفه الدواوين ، واعتبر ذلك بأوائل ملوك لَمتونة والموحدين : كانوا على سبيل من الاقتصاد غريب ، فتوفرت الجباية ، ودخلت الأقطار في ملكهم ، فجاهدوا وخلدوا المآثر والمفاخر ، بخلاف أواخرهم : اشتغلوا باقتناء الذخائر ، وأهملوا ما تقدم ، حتى قيض لهم من أزالها من أيديهم .

فلْيعتبر العاقل في ذلك ، وليتبصر في المبادي والخواتم ، فخذ تجربة صحيحة فيما ذكرناه لاتكاد أن تتخلف ، ومن كان طلعة لكتب التواريخ وجد مصداق ما ذكرناه في طيّها[١٥] » .

هذه فقرة ابن السكاك ، وهو يتلاقى ، في القسم الاول منها ، مع موضوع أسباب انحطاط الدول ، وقد ورد في « المقدمة » عند الفصل الثالث من الكتاب الأول[١٦] ، مع التمهيد له بالفصلين الحادي عشر[١٧] والثاني عشر[١٨] ، حيث جاءت ـ ثلاثتها بالتتابع ـ هكذا :

فصل في أن من طبيعة الملك الترف .

---

(١٥) « نصح ملوك الاسلام » ، ط.ف : ١١ـ١٢ .

(١٦) « المقدمة » ، ص : ١٤٥ـ١٤٧ .

(١٧) «المقدمة» ص:١٤٥ .

(١٨) «المقدمة» ص:١٤٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فصل في أن من طبيعة الملك الدعة والسكون .

فصل في أنه اذا استحكمت طبيعة الملك : من الانفراد بالمجد ، وحصول الترف والدعة ، أقبلت الدولة على الهرم .

وفي القسم الثاني من الفقرة التي نحللها يقول ابن السكاك : « واذا صحب دولة الاقتصاد في الإنفاق الى آخر كلامه ، فيتلاقى ـ الى حد ـ مع ما يقوله ابن خلدون عن تطور الدولة وحياتها : عند الفصل الذي يقرر أن الدولة لها أعمار طبيعية كما للاشخاص[١٩] » .

وابن السكاك يعلل النتائج الوخيمة للترف ، بعكسها ، وهي النتائج الحميدة للاقتصاد ، فعلل قضية اجتماعية بأخرى ، نظير ما انتهجه ابن خلدون عند الفصل الذي يذكر أن الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة ، ثم يقول : « وبعكس هذا أيضا ـ الأوطان الخالية من العصبيات يسهل تمهيد الدولة فيها ...[٢٠] » .

وبعد « نصح ملوك الاسلام » ، ننتقل الى موضوع ثان للمؤلف ذاته ، ويحمل اسم « الأساليب » ، حيث لا يزال مخطوطا بالاسكوريال رقم ٣٨٤ ، ويرد به أثناء الأسلوب الثالث :

« ... إن سنة الله جرت باحتياج هذا الآدمي الى ضروريات لايقوم وجوده إلا بها ، وناط بها مؤلمات ، وأفقره الى أسباب ، اقتضت حكمته خلف السلامة من تلك الآلام عند تلك الأسباب لا بها ... » .

فيتوافق ابن السكاك ـ في هذه الفقرة ـ مع المبدأ الخلدوني في

---

(١٩) « المقدمة » ، ص : ١٤٧ ـ ١٤٩ .

(٢٠) « المصدر نفسه » ، ص : ١٤٢ ـ ١٤٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ضرورة الاجتماع البشري ، للتعاون من أجل الحصول على الحاجيات الضرورية ، وأيضاً : لدفع عدوان الحيوانات العجم ، وقد توسع ابن خلدون في توضيح ذلك عند المقدمة الأولى من الفصل الأول من الكتاب الأول[٢١]، غير أن مؤلف « الأساليب » يجتزي بعرض الفكرة دون أن يتدخل في شرح العاملين المشار إليهما .

ويعود ابن السكاك الى المبدأ ذاته في تعبير مغاير ، كتبه في طالعة رسالته ـ التي لاتزال بدورها مخطوطة[٢٢] ـ بعنوان « استخراج كنز الملوك والوزراء والحجاب ... » :

« وبعد : فلما كان الانسان في هذه الدار الدنيوية ، في غاية الاضطرار الى ضروريات لايتم وجوده إلا بها ، وفي نهاية الاحتياج الى استدفاع أضداد وأغيار لا يستمر كونه إلا بفقدها ... » .

وهكذا يتكرر تأثر المفكر المغربي ـ ثلاث مرات ـ بالمبادىء الخلدونية ، في فقرات تأتي ـ عرضاً ـ أثناء موضوعات لا مسيس لها بفلسفة التاريخ ، ومن هنا يتبين أن ابن السكاك أفاد من صداقته لواضع هذا العلم ، وأنه لو تصدى للتأليف في هذا الاتجاه ، لعزز المقدمة بكتاب مشرّف .

٢ ـ بعد هذا ننتقل الى ابن المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي القاهري سالف الذكر ، وهو مؤلف رسالة باسم « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، وفيها يذهب مذهب أستاذه في الشرح والتعليل ، وذلك ما يجليه

---

(٢١) ص : ٣٥ـ٣٦ .

(٢٢) تعددت نسخها ، ومنها واحدة خ.ع.ك ٩٠ ، وأخرى : خ.ع.د. ٩٥٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المحققان للرسالة[٢٣] هكذا :

« والواقع أن المقريزي قد شابه ــ بهذا الكتيب ــ أستاذه ابن خلدون في المقدمة ، فكلاهما كتب في صميم النواحي الاقتصادية والاجتماعية ، ما عدا أن كتاب « إغاثة الأمة بكشف الغمة » قاصر على مصر الاسلامية ، و « المقدمة » شاملة للعالم الاسلامي بوجه عام .

بل إن أوجه الشبه بين الكتابين ــ والقياس مع الفارق في الحجم ــ تتعدى هذا الى طريقة العرض في كل منهما ، فكلا المؤرخين يبـدأ كل فصل من فصول كتابه بمخاطبة القارىء والدعاء له .

ثم يعرض لحقائق موضوع الفصل في أسلوب علمي موجز ، تغلب عليه الصبغة الفلسفية ، وتتخلله الاستشهادات التاريخية ، ثم يختم الفصل بآية أو آيتين من القرآن ،أو ببيت من الشعر يناسب المقام » .

٣ ــ السيتاني : يعقوب بن موسى بن يعقوب نزيل فاس ، والمتوفى أواسط المائة الهجرية التاسعة[٢٤] أواسط ق ١٥ .

وقد كتب شرحاً للأرجوزة التلمسانية في مادة المواريث[٢٥] ، وفي أوائل مؤلفه هذا ساق الحديث النبوي الذي يقـول « الفرائض ثلث العلم » وروي « نصف العلم » ، فيحمله الكافة على « علم الفرائض » :

---

(٢٣) الاستاذان : محمد مصطفى زيادة ، وجمال الدين محمد الشيال ، وقد قاما على نشر الرسالة في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، حيث وردت الفقرة المعنية في كلمة التصدير ، ص د .

(٢٤) انظر عن مصادر ترجمته محمد المنوني : « التيارات الفكرية في المغرب المريني » ، مجلة « الثقافة المغربية » بالعدد ٥ ، ص : ١٣٢ : عند التعليق رقم ١١ .

(٢٥) لايزال مخطوطا ، انظر عن نسخه المعروفة : المصدر الاخير ، ص : ١٣٢ـ١٣٣ عند التعليق رقم : ١٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فرائض المواريث ، بينما يفسره ابن خلدون بالفرائض التكليفية[٢٦] ، غير أن الفقيه المغربي يصحح تفسير الجمهور ، وينتقد تفسير ابن خلدون الذي أبهم اسمه وعبر عنه ببعض المتأخرين .

ولحسن الحظ ينبغ مؤلف مغربي جليل هو : أبو علي بن رحال المعداني ، المتوفى عام ١١٤٠/١٧٢٧ ، فينتصر للتفسير الخلدوني ويصححه ، ويبطل ما ذهب اليه السيتاني[٢٧] .

٤ ــ ابن الأزرق : محمد بن علي بن محمد الأصبحي المالقي ثم الغرناطي ، المتوفى ــ بالقدس ــ عام ٨٩٦/١٤٩١ ، وقد اشتهر بكتابه « بدائع السلك في طبائع الملك » ، وهو يشف عن دراسة عميقة للمقدمة ، أفضت بالمؤلف الى محاذاتها بكتابه هذا ، فيلخص أفكارها ويوضحها ، ويعدّلها ــ أحياناً ــ وينقدها ، فضلا عن إضافات جديدة وموضوعية .

وقد نشر « بدائع السلك » ــ وشيكاً ــ في طبعتين : بتونس والعراق ، مع تصديرهما ــ معا ــ بترجمة المؤلف .

٥ ــ السخاوي : محمد بن عبد الرحمن بن محمد القاهري ، المتوفى عام ٩٠٢/١٤٩٧[٢٨] ، والقصد ــ هنا ــ الى كتابه : الاعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التاريخ . ، حيث يتأثر ــ قليلا بتفكير ابن خلدون ، فينوه عند مدخل الكتاب بمزايا التاريخ ، ويعدد من بينها ما يذكر فيه من أسباب

---

(٢٦) « المقدمة » المطبعة البهية بمصر ، ص : ٣٩٤ ــ ٣٩٥ ، وهذه الطبعة هي التي سنعتمدها في الاحالات الآتية .

(٢٧) شرح المختصر الخليلي لأبي علي بن رحال ، مخطوط خ.م ٨٦٥٠ ، ج ٢٠ عند أوائل باب الفرائض ، وانظر عن ترجمة مؤلفه « نشر المثاني » ، ط.ف ٢/٢٣٤ .

(٢٨) ترجمته ومصادرها في « معجم المؤلفين » ١٠/١٥٠ــ١٥١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مبادىء الدول وإقبالها ، ثم سبب انقراضها ، والأحوال التي يتكرر مثلها وأشباهها ـ أبداً ـ في العالم[٢٩] .

٦ ـ المقري : أحمد بن محمد بن أحمد التلمساني ، المتوفى عام ١٠٤١/١٦٣٢[٣٠] ، وذكره في هذا العرض ، للتساؤل عن مدى واقعية ما ينسبه له حاجي خليفة[٣١] من تأليف شرح على « المقدمة » ؟

٧ ـ حاجي خليفة : مصطفى بن عبدالله القسطنطيني التركي ، الملقب بكاتب جلبي ، والمتوفى عام ١٠٦٧ / ١٦٥٧[٣٢] ، مؤلف « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » ، وهو منشور ، وفي مواضع من مقدمته يقتبس ـ بوضوح ـ من ابن خلدون في الأفكار ، وأيضا في صياغات العناوين ، وفي جل التعابير الشارحة ، وللتوضيح تثبت مقارنة بين المداخل الرئيسية المعنية بالنسبة لكل من كشف الظنون والمقدمة حسب العرض التالي :

كشف الظنون	المقدمة
إن العلم طبيعي للبشر وانه محتاج إليه[٣٣] .	إن العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري[٣٤]
إن العلوم المتداولة في الأمصار على	إن العلوم التي يخوض فيها البشر

(٢٩) الاعلان بالتوبيخ ، المنشور ضمن مدونة « علم التاريخ عند المسلمين » نشر مكتبة المثنى ببغداد ، ص : ٤٠٠ .

(٣٠) ترجمته ومصادرها في معجم المؤلفين ٢/٧٨ .

(٣١) « كشف الظنون » نشر مكتبة المثنى ببغداد ، ع١١٢٤ ، وهذه الطبعة هي التي تعتمدها الاحات التالية .

(٣٢) ترجمته ومصادرها في « معجم المؤلفين » ١٢/٢٦٢-٢٦٣ .

(٣٣) ع ٢٤ .

(٣٤) ص ٣٧٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كشف الظنون	المقدمة
صنفين : صنف طبيعي للانسان يهتدي إليه بفكره ، وهي العلوم الحكمية ، وصنف نقلي[٣٥] ...	ويتداولونها في الأمصار ـ تحصيلا وتعليما ـ هي على صنفين : صنف طبيعي للانسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي[٣٦] ...
إن حملة العلم في الاسلام أكثرهم العجم[٣٧] .	إن حملة العلم في الاسلام أكثرهم العجم[٣٨]
إن العلم من جملة الصنائع[٣٩]	إن التعليم للعلم من جملة الصنائع[٤٠]
إن الرحلة في الطلب مفيدة[٤١] وأما كثرة المصنفات في العلوم ، واختلاف الاصطلاحات في التعليم، فهي عائقة عن التحصيل[٤٣] .	إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم[٤٢] إن كثرة التآليف في العلوم عائقةعن التحصيل[٤٤]
وأما كثرة الاختصارات في العلوم فإنها مخلة بالتعليم[٤٥] .	إن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم[٤٦]

(٣٥) ع ٣٩
(٣٦) ص ٣٧٩
(٣٧) ع ٤٠
(٣٨) ص ٤٩٩
(٣٩) ع ٤١
(٤٠) ص ٣٧٥
(٤١) ع ٤٢
(٤٢) ص ٤٩٧
(٤٣) ع ٤٤
(٤٤) ص ٤٨١
(٤٥) ع ٤٤
(٤٦) ص ٤٩٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٨ ــ وبعد حاجي خليفة يستمر التأثير الخلدوني ــ بارزاً ــ لدى بعض المؤلفين المغاربة ، انطلاقا من أبي زيد الفاسي : عبد الرحمن بن عبد القادر الفهري ، المتوفى عام ١٠٩٦/١٦٨٥[٤٧] ، ومن بين أوضاعه نشير الى الأرجوزة المطولة بعنوان « نظم الأقنوم في مبادىء العلوم » ، ولا تزال مخطوطة في نسخ معدودة ، من بينها نسخة خ٠ع٠ك ١٥[٤٨] .

وفي باب علم النسب تقتبس المنظومة قاعدة ابن خلدون في نقد الأنساب ، وهو يقرر أن يعد لكل مائة من السنين ثلاثة من الآباء ، فما وافق ذلك فهو صحيح ، وما خالفه ــ بالنقصان أو الزيادة ــ يبحث في شأنه ، مع العلم بأن ذلك القانون أغلبي[٤٩] .

٩ ــ أبو علي اليوسي : الحسن بن مسعود المتوفى عام ١١٠٢/ ١٦٩٠[٥٠] ، وقد تأثر بابن خلدون في ثلاثة من أوضاعه ، وجاء ذلك في أساليب لا تتقيد بتعابير المقدمة ، فدلل على تصور عميق للأفكار التي يقتبس منها .

وأول مؤلفات اليوسي هو كتاب « المحاضرات » الذي أعيد نشره باعتناء دار المغرب ، وقد ورد به أثناء كلام :

« ... وسبب ذلك أن الانسان انما احتاج الى التمدن للقيام بالمتاجر والحرف وسائر الاسباب التي ينتظم بها أمر المعاش والتعاون على المنافع الدينية والدنيوية ، ولا يتأتى ذلك ــ عادة ــ إلا بكثرة الناس ،

(٤٧) ترجمته ومصادرها في « سلوة الانفاس » ١/٣١٤ـ٣١٦ .

(٤٨) يوجد تحليل لأرجوزة الاقنوم عند الكتاني في « التراتيب الادارية » ٢/١٩٥ـ١٩٩ .

(٤٩) « المقدمة » ص ١٤٩ .

(٥٠) له ترجمة موسعة مزودة بالمصادر في كتاب « الزاوية الدلائية » للدكتور محمد حجي ، ص ٩٧ ــ ١٠٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لتحصل عمارة الاسواق ، ويحصل من كل حرفة وصناعة وسبب وعمل ، عارف أو أكثر يقوم بها ، ولا يكون ذلك ــ عادة ــ من عشيرة واحدة ، بل ولا من قبيلة وعمارة ، بل من أخلاط شتى ، وأفواج جمة...[٥١]».

ويتضح من هذه الفقرة أن كاتبها متأثر بقاعدة ضرورة الاجتماع للإنسان ، حيث يتوسع ابن خلدون في شرحها عند المقدمة الأولى من الفصل الأول من الكتاب الأول[٥٢] .

والى هذا نشير الى « الرسالة اليوسية الكبرى » حيث لا تزال مخطوطة[٥٣] ، وفيها يتأثر صاحبها بفصل « المقدمة » الذي يقرر قصور أهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران[٥٤] ، وهكذا يقول ابن خلدون:

« إن المصر الكثير العمران يكثر ترفه ، وتكثر حاجات ساكنه من أجل الترف ، وتُعتاد تلك الحاجات لما يدعو اليها فتنقلب ضرورات ... » ثم يذكر البدوي قائلا : « .. والبدوي لم يكن دخله كثيراً ... فيتعذر عليه من أجل ذلك سكنى المصر الكبير ، لغلاء مرافقه ، وعزة حاجاته ، وهو في بدوه يسد خلته بأقل الأعمال ، لأنه قليل عوائد الترف في معاشه وسائر مؤنه ، فلا يضطر الى المال ، وكل من يتشوف الى المصر وسكناه من أهل البادية ، فسريعا ما يظهر عجزه ... »

ويبدو تأثر اليوسي بالمقدمة ، حين يتحدث في رسالته عن الحياة بالمدينة : « ... فإن كل شيء بالشراء ، حتى الماء الذي هو أسهل الاشياء لا بد له من نفقة فيه ... فما بالك بما فوق الماء » .

---

(٥١) « المحاضرات » نشر دار المغرب ص ١٨ .

(٥٢) « المقدمة » ص ٣٥ .

(٥٣) خ. ع ، ج ٨٤٩ : أول مجموع .

(٥٤) المقدمة ص ٣١٨ـ٣١٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم يذكر الشهوات والاتساع فيها ويقول : « وإنّا كنا بالبادية لا نعرفها ، ووجدنا آباءنا يعيشون بما وجدوا قانعين به ... فلما دخلنا الحاضرة ظهرت الشهوات ، ونظر النساء الى النساء ، والصبيان الى الصبيان ، والرجال الى الرجال ، فطلبوا الاتساع كما اتسعوا ، وابتلينا كما ابتُلوا » .

والآن : ينتهي بنا المطاف الى فهرس اليوسي ، وهو ــ بدوره ــ لا يزال مخطوطاً[٥٥] ، وفيه يتجاوب المؤلف مع الفصل الأخير من « المقدمة » الذي يبتدىء هكذا : « اعلم أن الشعر لا يختص باللسان العربي فقط ، بل هو موجود في كل لغة : سواء كانت عربية أو عجمية ، وقد كان في الفرس شعراء ، وفي يونان كذلك[٥٦] .. » .

بينما يولد اليوسي هذه الفكرة ويقول في مقدمة الفهرس : « ...فقد بلونا لغة العجم ولا سيما لغة البربر التي تتقنها ، فوجدناها مشتملة على جميع مافي لغة العرب من المقاصد والمعاني ، وما فيها من تقديم وتأخير ، وذكر وحذف ، وإيجاز وإطناب ، وإطلاق وحصر ، وحقيقة ومجاز ، وكناية وتعريض ، وغير ذلك ، حتى إنه لايكاد يوجد بين اللغتين فرق إلا في مجرد العبارات ، وخصت العربية بالفصاحة والسلاسة وبعض الأساليب الحسان ... » .

١٠ ــ القادري : عبد السلام بن الطيب بن محمد الحسني الفاسي ، المتوفى عام ١١١٠/١٦٩٨[٥٧] ،وقد عرض في رسالته : «العرف العاطر ..»

---

(٥٥) خ.ع ، ك ١٢٣٤ : سادس مجموع .

(٥٦) « المقدمة » ص ٥٣٢ـ٥٣٣ .

(٥٧) ترجمته في « سلوة الانفاس » ٣٤٨/٢ـ٣٥٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الى قاعدة ابن خلدون ، التي تعد لكل مائة من السنين ثلاثة آباء ، ثم عقب عليها بأن مراد مؤلف المقدمة أن ينفد مجموع عدد الآباء في مجموع عدد السنين ، بحساب ثلاث لكل مائة تقديرا ، وإن كان لكل مائة منها في الخارج اثنان وللأخرى أربعة مثلا ، فيحسب للألف سنة ثلاثين ، وذلك الموافق لجري العادة(٥٨) ...

١١ ــ أبو الربيع الحوات : سليمان بن محمد بن عبد الله الحسني العلمي الموسوي ، الشفشاوني نزيل فاس ، والمتوفى ــ بها ــ عام ١٢٣١/١٨١٦(٥٩) .

وقد أفاد من ابن خلدون في كتاب « الروضة المقصودة » ... « والاشارة ــ هنا ــ الى الباب الثالث منها ، لما استطرد به ذكر العلوم التي كانت متدارسة في عصره ، فيقتبس المؤلف من عروض المقدمة في مباحث أصناف العلوم(٦٠) غير انه يضيف لها زيادات يصل بها ــ أحيانا ــ حلقات سير تلك العلوم الى عصره .

وفي الباب ذاته يشيد المؤلف المنوه به بالمنهج الخلدوني الذي يوصي بالتدرج في التعليم : مادة فمادة ، فلا ينتقل المتعلم من واحدة حتى يتقن الأولى ، تفادياً من وقوع التخليط على التلميذ اذا ألقي إليه علمان معاً ، فإنه حينئذ قلّ أن يظفر بواحد منهما(٦١) ...

---

(٥٨) نقل ذلك أبو الربيع الحوات في كتابه : « السر الظاهر ... » ط.ف ص ١ من الملزمة ١٥ ، مع محمد الطالب ابن الحاج : في أواخر كتابه : « نظم الدر واللآل ... » ، مخطوط خاص .

(٥٩) ترجمته في « سلوة الانفاس » ٣/١١٦ـ١١٩ .

(٦٠) « المقدمة » حيث تبتدىء هذه المباحث بها من ص ٣٧٩ .

(٦١) « المقدمة » ص ٤٩١ـ٤٩٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبعد هذا ينقل أبو الربيع الحوات فقرة المقدمة عن صناعة الحساب: «ومن أحسن التعليم عندهم الابتداءُ بها ، لأنها معارف متضحة ، وبراهينها منتظمة ، فينشأ عنها ـ في الغالب ـ عقل مضيء درب على الصواب[٦٢]» .

ونقف ـ الآن ـ عند أبي الربيع الحوات علماً بأن تاريخ وفاته يوافق عام ١٨١٦ ، وهي الفترة الأخيرة التي كان العرب يستقلون فيها بالتعريف بأفكار ابن خلدون انطلاقا من عصر المؤلف .

وبعد الفترة ذاتها خلال القرن التاسع عشر ، بدأت أوربا تساهم ـ بجدية ـ في هذا الاتجاه نشراً وترجمة ودراسة ونقداً ، فدخل الاشتغال بالمقدمة في طور جديد بالنسبة لقطاعي الشرق والغرب ، وذلك ما طرح على هذه الدراسة أن تنتهي عند القرن التاسع عشر .

غير أننا سنستخلص من العروض السابقة أحد عشر اسماً تبتدىء من عصر المؤلف ، وتستوعب خمسة عشر مؤلفاً تأثرت أو اقتبست من ابـن خلدون ، وبينها من ينتقد بعـض أفكار المقدمة ، وهـي حصيلة تسعف بالتدليل على أسبقية مساهمة عربية للتعريف بالعلم الجديد ، وفي الوقت نفسه تأتي المساهمة المنوه بها في مواجهة التهمة التي تردد أن الاهتمـام بالمقدمة في البلاد العربية لم يبدأ إلا من أواخر القرن التاسع عشر .

* * *

والآن نبرز طرازاً آخر من رعاية العرب للمقدمة ، وذلك ما يعبر عنه استمرار نسخ من هذه المدونة مكتوبة بخطوط مشرقية أو مغربية ، حيث تحتضنها خزائن الكتب بالشرق والغرب ، في أصول صحيحة ، وفروع

(٦٢) « المصدر » ص ٤٢١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مقابلة ، ومن نماذج ذلك :

ـ النسخة التي صححها المؤلف بنفسه ، وكتب على كل صفحة منها مايفيد ذلك ، وهي في خزانة عاطف أفندي بالأستانة ، ومنها مصورة بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة(٦٣) .

ثانيا ـ المخطوطة التونسية ، وهي بأول النسخة التي أهداها المؤلف الى السلطان بتونس أبي العباس الحفصي عام ٧٨٤/١٣٨٢ .

وقد صارت الى مكتبة ليدن ، وكانت هي موضوع محاضرة الأستاذ الدكتور مبارك رجاله .

ثالثا : المخطوطة المعروفة بالظاهري ، وهي واقعة بأول النسخة التي قدمها المؤلف للسلطان الظاهر برقوق عام ٧٩٧ وتحفظ بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة تحت رقم ٨٦٣ .

رابعا : نسخة مكتبة أيا صوفيا بالأستانة رقم : ٣٢٠٠ ، وكانت نسخة خاصة للمؤلف(٦٤) .

ومن نماذج النسخ الفرعية :

٥ ـ نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ، حيث يحتمل أنها قوبلت على نسخة بخط المؤلف ، وهي تحمل رقم ٤٧٢٩(٦٥) .

٦ ـ نسخة مكتبة أحمد الثالث بالأستانة ، وهي بأول النسخة التي

---

(٦٣) « استخدام المصادر وطرق البحث » تاليف الدكتور علي ابراهيم حسن ، ط . مكتبة النهضة المصرية ، ص : ١٦٤ـ١٦٥ .

(٦٤) « التعريف بابن خلدون ... » تحقيق الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة ص يح .

(٦٥) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : جزء التاريخ وملحقاته ص : ٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تحمل رقم ٣٠٤٢ ، وتاريخ كتابة المقدمة يرجع الى القرن التاسع هـ(٦٦) .

٧ ــ نسخة دار الكتب الظاهرية ، وتتوافق مع النسخة التي نشرها كاترمير في باريس(٦٧) .

٨ ــ مخطوطة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، وهي بأول التاريخ ، حيث يستوعبه ــ كاملا ــ مجلدان بخط مغربي كتبه عبد الله ابن محمد الغماري سنة ١١٣٧ هـ : رقم ١ ش .

٩ ــ مخطوطة نفس الدار رقم ٦٥ م ، وتقع أول التاريخ(٦٨) ، كما تشتمل على صيغة إهداء المؤلف للسلطان المريني أبي فارس عبد العزيز الثاني عام ١٤٩٣/٧٩٩ .

١٠ ــ نسخة الجزائر بخط مغربي عام ١٠٦٧ هـ ، وكانت في مكتبة متحف الجزائر ، ثم صارت الى دار الكتب الوطنية بباريس ، حيث تحمل رقم : ٥١٣٦(٦٩) .

١١ ــ نسخة تونس ، بخط تونسي عام ١٣٢٨ هـ ، وهي بدار الكتب الوطنية التونسية تحت رقم : ٦٢١٦(٧٠) .

١٢ ــ نسخة خزانة القرويين بفاس رقم ١٣٢٠ .

١٣ ــ نسخة مكتبة ابن يوسف بمراكش رقم : ٤١٨ .

١٤ ــ نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم : ق ٣٠١ ، وهي في جزأين بخط شرقي عار عن تاريخ النسخ واسم التاسخ ، وخال ــ أيضاً ــ من

---

(٦٦) فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية ، جزء التاريخ : القسم الاول ص : ١٧٩ .

(٦٧) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : جزء التاريخ وملحقاته ص : ١ــ٢ .

(٦٨) فهرس دار الكتب المصرية ٥/٢٦١ .

(٦٩) Biblio theque Nationale E. Blochet. p. 67.

(٧٠) فهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية بتونس ، تأليف عبد الحفيظ منصور ص ٤٠١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صيغة الإهداء في افتتاحيته ، وعلى كل من الجزأين خط الشيخ أبي العباس أحمد بن الشيخ محمد بن ناصر بتملكه .

وبالخزانة الملكية خمس نسخ توجت ـ جميعها ـ بصيغة الإهداء لأبي فارس المريني عبد العزيز الثاني ، مما يرجح أن خمستها متفرعة عن النسخة الفاسية ، وكلها مكتوبة بخط مغربي خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ ، وتتابع عرضها تبعا للنسخ السابقة :

١٥ ـ يرتقي خطها الى العصر السعدي ، ماعدا بعض أوراق عوضت بخط مغاير ، وبأولها وهوامشها خط السلطان السعدي : زيدان بن أحمد المنصور ، وببعض هوامشها ـ أيضا ـ خط المؤرخ المغربي أبي القاسم الزياني ، وخط الأمير الحسين بن السلطان العلوي محمد الثالث ، وسواهم ، وهي تحمل بهذه الخزانة رقم ١٥٥٢ .

١٦ ـ يرجع خطها الى المائة الهجرية الحادية عشرة تقريبا ورقمها ٧٧٨١ .

١٧ ـ بهوامشها بعض التعليقات بتصحيح نظريات ابن خلدون ، وعصر خطها كالسابقة تقريبا ، وهي تحمل رقم : ٨٥٠٠ .

١٨ ـ مهمشة ـ أيضا بتوقيفات وقليل من الانتقادات على المؤلف ، وخطها ينتسب الى المائة الحادية عشرة تقريبا ، وهي تقع أول نسخة التاريخ تحت رقم : ٨٨٩٢ .

١٩ ـ الجزء الأول من المقدمة : الى أن ينتهي آخر الفصل الثالث من الكتاب الاول ، ناسخه غير مذكور ، وبواسطة المقارنة يتبين أنه محمد الطيب بن عبد السلام بن عبد الله الخياط القادري الحسني قيم خزانة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جامع الرصيف بفاس أواسط المائة الهجرية الثالثة عشرة ، أما رقم الجزء فهو ١٤٢٩ ز .

وستكون هذه النسخة آخر تسعة عشر نموذجا من مخطوطات المقدمة(٧١) ، حيث تعبر عن مدى رعاية العرب لتراث ابن خلدون ، بدءاً من عصره حتى بدايات القرن التاسع عشر الذي ينتهي عنده هذا العرض.

بعد هذا ننتقل الى طراز ثالث من التفات العرب لمدونة العلم الجديد، ويمثل ذلك ـ في هذه المرة ـ اهتمام أفراد من الدارسين بالمحافظة على تسلسل رواية العبر ومعه المقدمة ، حتى ينتهي السند ـ شيخاً عن شيخ ـ الى المؤلف ، وقد سار ذلك في اتجاهين اثنين : سند مشرقي ، وسند مغربي.

وقد ساق محمد البصري الرواية المشرقية من طريق محمد بن الطيب الشرقي ثم الفاسي : الى أن انتهى لشيخ الاسلام زكريا الأنصاري ، عن ابن حجر العسقلاني القاهري ، عن المؤلف ابن خلدون (٧٢).

ثم كان ممن حافظ على السند المغربي محمد بن محمد بن سليمان الروداني ، حيث انتهى به الى ابن مرزوق الحفيد التلمساني عن المؤلف(٧٣) .

---

(٧١) يضاف لهذه النماذج نسخ « المقدمة » المخطوطة في خزائن أوربا : بالمانيا والنمسا وهولاندا والروسيا وانكلترا وايطاليا ...

ومن الواضح أن هذه المنتسخات كتبت في البلاد العربية : بالمشرق أو المغرب قبل أن تنتقل الى أوربا .

(٧٢) محمد البصري في فهرسه : « اتحاف أهل الهداية ... » مخطوط خ.م ز ١٢٥٢ ، ص ٣١٠ ، وقد جعل عنوان السند « تآليف ابن خلدون » غير أنه لما ترجمه عقب السند لم يذكر من مؤلفاته سوى التاريخ ، فدل ذلك على أنه انما يعني « العبر » .

(٧٣) محمد بن محمد بن سلمان الروداني في فهرسه : « صلة الخلف ... » مخطوط خ.ع.ح ، ص : ٧٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم ذكر هذا السند يحيى الجراري ، وساقه من طريق محمد بن قاسم القصار ، عن عبد الواحد الونشريسي ، وهما ـ معا ـ فاسيان ، عن محمد بن العباس التلمساني ، عن ابن مرزوق الحفيد ، عن ابن خلدون(٧٤) .

ختاماً : نستخلص من هذه العروض أن المقدمة الخلدونية عرفت اهتماما ـ عربيا ـ بقراءتها ودراسة طائفة من أفكارها ، بدءاً من مطالع القرن الخامس عشر م ، ثم استمر ذلك عبر الأجيال التالية .

غير أن فضل أوربا كان في دراسة علم ابن خلدون بمنهجية جديدة ، تجاوبا مع ما وصل اليه الغرب في ظل القرن التاسع عشر .

الرباط « المغرب » **محمد المنوني**

توضيح :

١ ـ الاختصارات التي استخدمت في التعاليق هي :

ط.ف. : طبع فاس .

خ.ع.د. : قسم حرف الدال من الخزانة العامة بالرباط .

خ.ع.ك. : قسم حرف الكاف من نفس الخزانة .

خ.ع.ح. : قسم حرف الحاء من نفس الخزانة .

خ.م. : الخزانة الملكية .

خ.م.ز. : قسم المجموعة الزيدانية من نفس الخزانة .

٢ ـ المصادر والمراجع : تذكر وضعيتها عند أول إشارة ولا يتكرر ذلك في الإحالات التالية .

---

(٧٤) يحيى بن عبد الله الجراري في فهرسه : « ضوء المصباح » مخطوط خ.م ٤٢٧٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net